جدل المستشرقين حول وثيقة المدينة

م.م. محمد محيسن دفش
المديرية العامة لتربية ذي قار

الملخص:
١. خطل اراء المستشرقين الذين كتبوا في مواضيع السيرة النبوية الشريفة وخاصة (وات) .
٢. كان الرسول (ﷺ) في خطواته التي اعتمدها بمعالجة قضية اليهود منسجمة مع روح العصر.
3. ان الرواية الاسلامية رغم ما بها من الميول العقائدية كانت اكثر دقة لأنها مواكبه للحدث .
4. كتابات المستشرقين على الاغلب ميالة الى جانب اليهود رغم ان الرواية الاسلامية كانت قد اسهبت في التفاصيل .

Abstract:
The most important points of this study are:
1- It criticized the false opinions of the orientalists who wrote on the topics of the honorable biography of the Prophet, especially (Watt).
٢- The Prophet (peace and blessings be upon him) took steps to address the issue of the Jews in harmony with the spirit of the age.
3- The Islamic novel, despite its ideological inclinations, was more accurate because it kept pace with the event.
4- The writings of orientalists are mostly in favor of the Jews, even though the Islamic narrative had gone into detail.

المقدمة :
تعد هذه الدراسة من الدراسات التي ابرزت بوضوح مدى تخبط وخطل اراء المستشرقين الذين تناولوا السيرة النبوية ، وقد صنف الكتاب المسلمين المستشرقين الى اصناف حسب ميولهم ، فوصفوا وات على انه من المستشرقين المعتدلين والمحايدين ، لذا وجدنا بان الخوض بهذا الجدل ضروري ومهم جدا

لبيان لكل ذو عقل مدى انحياز هذا المعتدل.

قسمت الدراسة الى مبحثين الاول منهما كان يتتبع اراء وات خاصة واراء بعض المستشرقين الاخرين واستعراض الرواية الاسلامية التي شكك بها وات وصحبه .

اما المبحث الثاني ، فاستعرضنا به الصراعات التي خاضها الرسول (ﷺ) ضد اليهود وخاصة القبائل اليهودية الثلاث البارزة في المدينة المنورة ووجهة وات بها .

المبحث الاول : وثيقة المدينة وثيقة الامة

كان لاختيار النبي (ﷺ) المدينة كمحط له في بادئ الامر مبني على وجود اصحاب ديانة سماوية ابراهيمية بها ، عسى ان يساندوه في انتشار دعوته التي كُلف بحملها ، فهو ايضا مهد لانتشار الاسلام لان اليهود يعلمون بظهوره في الجزيرة العربية "[وَلَمَّا جَاءَهُمْ]" يَعْنِي الْيَهُود **[كِتَابٌ مِنْ عِنْد اللَّه]** وَهُوَ الْقُرْآن الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد (ﷺ) [**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ]** " **يَعْنِي مِنْ التَّوْرَاة وَقَوْله " وَكَانُوا مِنْ قَبْل يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا " أَيْ وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْل مَجِيء هَذَا الرَّسُول بِهَذَا الْكِتَاب يَسْتَنْصِرُونَ بِمَجِيئِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِر الزَّمَان نَقْتُلكُمْ مَعَهُ قَتْل عَاد وَإِرَم** [١].

وقال اسرائيل ولفنسون "كان يهود يثرب يتشوقون لرؤية الرجل الذي ينشر دعوة دينية تتفق في جوهرها مع عقائدهم وكانوا يعتقدون أن ظهور رجل ليس من بني إسرائيل يدعو إلى توحيد الاله والى تعاليم التوراة والى تمجيد ابراهيم وموسى "[٢]

وعند وصوله (ﷺ) الى المدينة "وقد خيل اليه ، وكان هذا شيئا طبيعيا من جانبه ، ان الوحي الجديد سيبدو بديهيا لليهود كما بدا له . وبهذا يرون فيه نبيا من الأنبياء . ولربما اتصل بعض عملاء محمد باليهود قبل رحيل النبي إلى المدينة . فلم يكن جوابهم يدعو لليأس تماما ، ربما كان اليهود على استعداد لعقد اتفاق سياسي ، ولم يكونوا مستعدين لقبول دعاوي محمد الدينية و مهما حدث قبل الهجرة ، فقد كان محمد يأمل انه في الشهور الاولى لإقامته في المدينة سيستميل اليهود إلى جانبه باتصاله الشخصي[٣] " ولكن **[فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به]** [٤].

وقد ايد هذا التوجه النبوي اسرائيل ولفنسون بقوله " كذلك كان الرسول يرغب في التقرب الى اليهود نظرا لمكانتهم الرفيعة من الوجهة الادبية والمالية والسياسية في البلاد الحجازية وكان يعتقد ان اليهود يدخلون في ذمته وملته بلا مقاومة بل يرحبون بدعوته التي تشبه في جوهرها تعاليم دينهم "[٥].

فبادر الرسول (ﷺ)عند وصوله الى المدينة بكتابة وثيقة تنظم التعامل بين سكان المدينة

وتحتوي في طياتها احكام تنظم الحياة العامة وخاصة بين المسلمين واهل يثرب واطلق على هذه الوثيقه (بوثيقة المدينة)،وتعتبر هذه الوثيقة دستور لهذه الدولة الفتية او نواة للدولة الاسلامية التي كانت خليطا من المسلمين واليهود والمشركين ، وهذا يعني انها خليط غير متجانس بين تلك المكونات من حيث العرق والتركيبة الفكرية، وقد راعته هذه الوثيقة كل تلك التباينات القبلية والفكرية ، واعتبر الرسول (ﷺ)هذا الخليط امة باعتبار ان الجميع يسكن هذه البقعة ويشتركون بمصير واحد اذا بادرهم العدو في المدينة ، وتجمعهم المصلحة الواحدة،[٦]وهنا يعلق بيجوفيش على ان مجتمع المدينة قبل الهجرة لم يكن مجتمعا متماسكا بدليل كثرة النزاعات بين القبائل القاطنة في يثرب ، لكن اللحظة التاريخية هي مجيء الرسول الى المدينة والتي تحولت الجماعة الروحية الى نواة دولة [٧] .

ويؤيد بريمار ما جاءت به الوثيقة من الاتحاد وتكوين امة "وهكذا تكتسب كلمة "أمة" دلالة إضافية جديدة تقوي طابعها السياسي وتجعلها تتخذ معنى التحالف الاتحادي. وبالفعل، تدمج نصوص الصحيفة العديد من عشائر يهود يثرب في ميثاق الأمة. وهذه العشائر تشكل «أمة» مع المؤمنين"[٨] .

لكن وات لم يوافق على اطلاق مصطلح (امة) الذي اطلقته الوثيقة على مجتمع المدينة ويشكك بها بقوله "مكانة اليهود الحقيقية في الامة الاسلامية غير محددة تماما ، كانوا مرتبطين بصورة غير مباشرة بهذه الأمة كحلفاء للقبائل العربية التي تؤلف جزءا من هذه الأمة ، هل كانت هناك رابطة أخرى ؟ من الصعب قول ذلك . وتذكر المصادر القديمة معاهدة ويروي الواقدي انه حين قدوم محمد إلى المدينة عقد جميع اليهود اتفاقا معه ويقول احد بنودها انه يجب على اليهود أن لا يؤيدوا عدوا لمحمد"[٩] .

فإذا تم قبول تصور وات بأن تلك القبائل اليهودية الثلاث(بنو القينقاع ، وبنو النضير، وبنو قريظة) لم توقع وثيقة المدينة مع الرسول (ﷺ) وبهذا لم تكن من هذه الامة فلا يمكن قبول تصوره بخصوص اليهود الذين وقعوا الصحيفة مع الرسول (ﷺ) واصبحوا جزءا من الامة ، ومن المعروف ان من الخطأ بناء تصور مقتضب (جزئي) وتعميمه على الكل ، وخالف وات بهذا الصدد المستشرق فلهوزن الذي يقول "وقد حفظت لنا الأيام من العصر الأول بعد الهجرة ، قبل موقعة بدر ، كتاب لمحمد عليه السلام بيّن بعض النقط الكبرى في القانون الذي ينظم الحياة العامة والسياسية وكان معمولا به في المدينة أول الأمر. ويتجلى من هذا الكتاب إلى أي حد قد تغيرت الأحوال القديمة ، و إلى أي حد لم تتغير ، وذلك إذا عرفنا أن المدينة قد اصبحت منذ ذلك الحين

أمة واحدة . وكلمة الأمة هنا ليست اسم للجماعة العربية القديمة التي تربطها رابطة النسب ، بل هي تدل على الجماعة بالمعنى المطلق"[١٠] .

ونقل بريمار "....ويقال إن عليا احتفظ بالوثيقة في غمد سيفه. وقد جاء في النص الحرفي لهذه الوثيقة التي تتعدد رواياتها ويضخم أحيانا مضمونها : سألنا عليا : هل عندكم من رسول الله شيء بعد القرآن؟ فأجاب : ما عندنا إلا ما في القرآن ... وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال : العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، كل هذه الشهادات، سواء أجاءت من علي أم من الآخرين، تتفق في كل الأحوال على القول بوجود شيء مكتوب من قبل محمد، شيء يخص التنظيم الداخلي لتحالفه والنشاط الحربي لهذا التحالف القائم في سبيل الله" [١١].

وأييد هذا ايضا الدكتور احمد ابراهيم الشريف "وقد بدأ كأنما ابتلعت الجماعة القائمة على أساس الدين تلك الجماعات القديمة القائمة على أساس رابطة الدم ، ولكن تلك الجماعات في الحقيقة بقيت كما هي . وإن كان الشأن الأول قد انتقل منها إلى الجماعة الكبرى ، فدخلت الطوائف التي كانت موجودة في ذلك الحين ونعني بها القبائل والبطون والعشائر ، في الجماعة الكبرى الجديدة ، واحتفظ لها الدستور بشخصيتها ، ولكنه نقل منها اختصاصاتها كوحدات قبلية إلى الدولة ، وإن بقي لها كل ما من شأنه أن يحفظ على الناس الروابط فيما بينهم ، وبذلك تكونت في المدينة جماعة موحدة من حيث أنها أمة الله ، ولكن ذلك لم يكن دفعة واحدة فقد ظل يتحقق بخطى مستمرة ثابتة"[١٢] .

بالرغم من ثقل القبائل اليهودية الثلاثة الاقتصادي والسكاني في المدينة والمناطق التي تقع حولها الا ان الوثيقة لم تذكرها بالاسم ، هذا ما ادى الى اختلاف المؤرخين من انها هل عاهدت الرسول ووقعت على الوثيقة ام تخلفت بالوقت ، فان الوثيقة ذكرت قبائل يهودية ثانوية التأثير وهامشية النفوذ الاقتصادي بالرغم ان فلهوزن تطرق الى كل اليهود جميعا ولم يستثني احد القبائل واعتبرهم جزء من امة المدينة "فالإيمان هو رباط الاتحاد ، والمؤمنون هم مثلوا معناه ، وهم اول من يجب عليهم الوفاء للاتحاد ، وهم في الوقت نفسه أول من يتمتعون بالحقوق التي يخولها لهم ، وأيضا الأمة لا تشتمل على المؤمنين وحدهم ، بل هي تتألف ايضا من كل من يتبعهم و يحارب معهم ، أي من كل أهل المدينة ، والأمة لها منطقة من الأرض إجمالية ، فكل جوف المدينة ينبغي أن يكون حرما وارض سلام ، لا يعتدي فيها أحد على أحد. وكان بين الأنصار قوم مشركون، لكنهم لم يستبعدوا من الامة ، بل ادمجوا فيها بنص صريح ،

وكذلك اليهود شملتهم الأمة ، و إن كانوا لا ينتمون إليها انتماء وثيقا كالمهاجرين والأنصار ، وإن كان اليهود أيضا لا تقع عليهم نفس الواجبات وليس لهم نفس الحقوق ، وعلى هذا فليست درجة الانتماء للامة واحدة ، بحيث بقي ما يشبه التمايز العربي القديم بين اصحاب الحق الكامل وبين غيرهم من تابع ونزيل"[١٣] .

واتفق على هذا بروكلمان "في السنة الثانية نهض النبي بمهمة إصلاح البين وذلك عندما عقد معاهدة مسهبة بين المدنيين حفظ لنا التاريخ نصها، فاتفقت القبائل على أن تؤلف جماعة واحدة في ظل الحماية الإلهية وصار على الجماعة أن تقف صفا واحدا في وجه الأعداء الخارجيين. أما اليهود فكان عليهم أن يسهموا في نفقات الحرب دون الاشتراك بها عمليا إلا في الأحوال التي تكون فيها المدينة نفسها موضع الهجوم" [١٤] ولا يشك المؤرخون في ان النبي عقد مع اليهود عقودا بعد حضوره الى المدينة اذ كان يخاف حياته وحياة انصاره ويود عقد المحالفات مع اليهود الذين لعبوا دورا هاما في يثرب ، وفي القرآن تاييد لليهود على نقض العقود وهو اصدق دليل على انه عقدت معهم معاهدات "[١٥] .

ومن هذا نلاحظ من ان وات يبدو بمنهجه هذا يثير الشك في صدق الروايات الاسلامية كما جاء بقوله "يبدو طبيعيا بأن هذه القبائل الثلاث لم تذكر في هذه الوثيقة"[١٦] وكان يذهب الى ابعد من هذا وهو انكار وجود الوثيقة وعدم مصداقية تنظيم الرسول لها "ويذكر ابن اسحاق في روايته خبر معاهدة مع قريظة ، ولكنه لا يتحدث عن سائر اليهود ، ولا شيء يحملنا على الاعتقاد بأنها وثيقة حقيقية". وتقول القبيلة فيما يلي انها لم تعقد معاهدة مع محمد ، وربما يعني ذلك أما أن المعاهدة قد فسخت ، أو أنه لم توجد معاهدة قط "[١٧] .

وقد اتفق مع هذا الراي احمد ابراهيم في كتابه مكة والمدينة في الجاهلية والرسول "واول ما نلاحظ هنا أن ابن اسحاق انفرد بهذا النص ، ولم يذكر إسناده في روايته ، كذلك لم يشر إلى المصدر الذي أخذه عنه، فلم يذكر، أنه وجده مكتوبا ، أو أخذه من أحد كتبه ، وإن يكن من غير المستبعد أن يكون أخذه من بعض من سبقوه ممن كتبوا في السيرة ولم تصل إلينا كتاباتهم لكن هذا لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة التاريخية الهامة ولا يطعن في صحتها، وذلك لأن المصادر الأخرى أشارت إليها وإن لم تذكر نصها وقد ذكرتها المصادر المتأخرة ولأن أسلوب هذه الصحيفة يوافق تماما أسلوب العصر ، كما يوافق روح التنظيم في المجتمع العربي من حيث الترابط القبلي والاعتراف بقوة العصبية وأثرها في المجتمع وأنه ليس من السهل التخلص منها وقد بدا واضحا في الصحيفة

أن البطون والعشائر أدخلت في النظام الجديد بشخصياتها القبلية لا بأفرادها وهذا ما كان يجري عليه المجتمع العربي في تكوينه في ذلك الوقت "[١٨].

ومن الواضح ان وات يحاول بكل وسائله يبرهن بان يهود القبائل الثلاث لم توقع الوثيقة ومن ثم يخرج بنتيجة ان قتال الرسول لهم في موقعة خيبر وبني القينقاع هي ليس لنقض الاتفاقية لانهم لم يوقعوها اصلا فهم خارج الامة المزعومة بالوثيقة ولاسيما ان هناك بند بهذه الوثيقة ترك الباب مفتوح لكل من اراد دخول الاتفاق " وإنَّه مَنْ تبعنا من يهود، فإنَّ له النَّصرَ، والأُسوة غير مظلومين، ولا متناصرٍ عليهم[١٩]."

يهدف وات من خلال هذا الاستنتاج للتأكد على أن هذه القبائل الثلاث لم تدخل في معاهدات مع النبي ، وبالتالي فإن حرب النبي (ﷺ) لها إنما هي حرب عدوانية، لأن النبي (ﷺ) إنما حاربها لنقضها العهد الذي بينه وبينها وهي لم تعاهده وبهذا تكون حرب الرسول مع اليهود هي حرب عدوانية مبررها الوحيد هو الاستحواذ على ممتلكات اليهود "كان القضاء على اليهود هو رائد بطون الأوس والخزرج من الساعة الأولى لمجاورتهم في يثرب، حتى جاءت الحوادث بعد الهجرة فحققت آمالهم وأطماعهم"[٢٠] .

وهذا ما يهدف إليه وات لكن آراءه واستنتاجاته تحمل داخل أحشائها كثيرا من التناقضات، فاذا كانت الوثيقة في شكلها النهائي كتبت بعد إزالة قريظة لتكون عهدا للذين بقوا من اليهود في المدينة، وأنها تحتوي على البنود الموجودة في دستور المدينة القديم، فلمن كتب دستور المدينة القديم ومن بقي من اليهود بعد إزالة قريظة؟. كما نراه يتخبط فمرة يذكر بأن القبائل الثلاث لا توجد في الدستور. وحينا يفسر عدم ذكرها بأن النبي (ﷺ) صنف القبائل اليهودية حسب القبائل العربية التي يعيشون بينها ،ومرة ثالثة يذكر بأن معاهدات النبي مع اليهود تمت بعد إزالة قريظة دون أن يذكر مصادره .

وتبين مما تقدم ان استنتاجات واراء وات متناقضة فان كانت الوثيقة كتبت بعد زوال بني قريظة لتنظيم الامور بين المسلمين وما تبقى من اليهود ، فان هذا يخالف المنطق فلماذا يذعن القوي للضعيف الواهن والمنهك وهو خارج من معركة انهكت قواه ،ومرة اخرى نجده يقول ان القبائل الثلاثة لم تذكر بنص الاتفاق ، وكل هذا لم يذكر المصدر الساند لقوله .

غير أن الوثيقة قد أشارت لهذه القبائل بالولاء للقبائل التي كانت في حلف معها قبل قدوم الرسول (ﷺ) ، ويذكر الواقدي لما قدم الرسول المدينة وادعته يهود كلها وكتب بينه وبينهم كتابًا، والحق الرسول كل قوم بحلفائهم [٢١]"فكان بنو قنيقاع حلفاء بني عوف من

الخزرج، وجاء في الوثيقة" وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين" [٢٢]، كذلك ساوت الوثيقة بين حلفاء الأوس وهم" بنو النضير وبنو قريظة"، بيهود بني عوف وهم قنيقاع "وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف [٢٣] "وهذا يعزز اشتراك كافة اليهود في الموادعة.

اما ما كتبه المسلمون بخصوص الاسباب عدم ذكر القبائل الثلاثة في الوثيقة من انها اعتزت بنفسها مع هذا فان لصحيفة ابقت الباب مفتوحا امام الانضمام الى الوثيقة ، ويعلل المحدثون عدم الانضمام هو خوفهم من الحروب التي قد تحدث بين المسلمين والمكيين وباعتبارهم اصحاب املاك واموال ، فلخوفهم من تدمير قريش ونهب املاكهم امتنعوا من الاتفاق [٢٤] .

إن عدم ورود اسماء هذه القبائل في وثيقة المدينة لا يلغي عقدها لمعاهدات مع الرسول (ﷺ) ، فالروايات اكدت بأن هذه القبائل قد عقدت معاهدات مع الرسول (ﷺ) باتفاقيات كل قبيلة على انفراد، فمثلا روى ابن سعد رواية تخص ميثاق بني النضير مع الرسول والتي تخص بأحداثها يهود بني النضير وهي عن اتفاق اليهود مع الرسول (ﷺ) بعد مقتل كعب بن الأشرف وهو يهودي من بني النضير "بعد مقتله أصبح اليهود مذعورين فجاءوا إلى النبي (ﷺ) فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي (ﷺ) صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحا أحسبه، قال وكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه "[٢٥] .

فقبيلة بني قينقاع التي بدأت قتال الرسول (ﷺ)فيمكن ان نذكر رواية واحدة للرد على وات فحينما دخل ابو بكر المدارس وجرى حوار بينه وبين احد رجال بني القينقاع اذ قال اليهودي "إن الله فقير" الآية :[لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء][٢٦] فنهره أبوبكر وقال "والله لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك" [٢٧].

فلو لم يكن هناك عقد بين النبي وبني القينقاع فلم يقول أبوبكر ما قال، وذكر ابن اسحق «إن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله» [٢٨]هذا يؤكد وجود وثيقة عهد بين الطرفين وحتى وان لم تكن مدونه وقد ذكر الطبري في تفسيره للآية [**وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء**][٢٩] قال إني أخاف من بني قينقاع، قال عروة فسار رسول الله إليهم بهذه الآية "[٣٠] فالخيانة لا تكون إلا للرسول (ﷺ) والنبذ لا يكون إلا للعهد.

وهناك مصادر اشارت برواياتها إلى أن الرسول (ﷺ) وادع واتفق مع كل جماعة يهودية على حدة، يذكر ابن إسحاق أتي كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة و عهدها، وكان قد وادع رسول الله

على قومه وعاقده على ذلك وعاهده"[٣١] وبالإضافة الى ما ورد بشان بني قريظة مع النبي (ﷺ) فإن هناك إشارات في كتب السيرة النبوية تؤكد على صحة هذه المعاهدة. في الوقت الذي كان به الصراع محتدم بين الرسول وبني النضير فإن عبدالله بن أبي "وعدهم بأن العرب وبنو قريظة سينصرونهم فبلغ ذلك كعب بن أسد[٣٢] صاحب عهد بني قريظة فقال لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي"[٣٣] .

ويروي وات رواية الواقدي قائلا" إنه حين قدوم محمد الى المدينة عقد مع جميع اليهود اتفاقا ويقول أحد بنوده إنه يجب على اليهود ألا يؤيدوا عدوا لمحمد ويقول في مكان آخر انه كان على اليهود بموجب هذا الاتفاق ان لا يكونوا معه أو ضده ووقع الوثيقة كعب بن أسد عن قبيلة قريظة وظلت هذه الوثيقة في حوزته حتى حصار المدينة حين مزقت" [٣٤] .

وعندما بدأت الجموع في حصار المدينة قابل حيي بن أخطب ، أحد الزعماء الذين قاموا بتأليب الأحزاب كعب بن أسد زعيم قريظة وصاحب عقدها "وكان قد وادع النبي (ﷺ) على قومه وعاقده وعاهده على ذلك فقال ويحك يا حيي إني قد عاهدت محمد فلست بناقض ما بيني وبينه. ولم أر منه إلا وفاء وصدقا فمازال حيى يفتله في الذروة والقارب حتى نقض كعب عهده وبرئ ما كان بينه وبين النبي (ﷺ)" [٣٥]، فتامرت قريظة مع الأحزاب، وحينما بعث الرسول (ﷺ) مبعوثيه لمعرفة من نقض قريظة للعهد "وجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم" [٣٦]، وقالوا لمبعوث النبي (ﷺ) "لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد" [٣٧]، ومن ما نقل بهذا الشأن ايضا من ان ابو سفيان بزيارته الى حيي بن اخطب طلب منه نقض العهد مع النبي (ﷺ). [٣٨]

رغم كل هذا فان وات يصر على رفض الروايات التي تدين اليهود بنقضهم ما تعاهدوا عليه مع الرسول (ﷺ) ، فرواية الواقدي التي نقلناها منه، يرى وات "بأن الواقدي نقلها عن محمد حفيد للشاعر كعب بن مالك من بني سلمة ومحمد بن كعب هو ابن مسلم لأحد أفراد قريظة فلا شيء يحملنا على الاعتقاد بأنها وثيقة حقيقية لأن سلمة معادية لليهود ولما كان المسلمون غالبا حانقين على الجماعة التي انفصلوا عنها فإن لهذين الشخصين أسبابا تدفعهما التشويه سمعة بني قريظة" [٣٩]، وهنا اصبح جليا بان وات بكتابه محمد في المدينة وخاصة في علاقة اليهود بالرسول (ﷺ) والمسلمين يبدو حانقا على الرسول والمسلمين مناصرا لغدر اليهود ومكرهم .

المبحث الثاني : الصراع المسلح بين اليهود والمسلمين

كان في الوهلة الاولى جدل فكري بين اليهود والمسلمين فكلاهما يدافع عن معتقداته ، وايهما افضل دين من الاخر ،وهذا تطور الى ابعد عمقا من الجدل وخاصة بعد ان انتصر المسلمون في معركة بدر الكبرى ، اذ انتاب اليهود شئ من الحسد والحقد على المسلمين وخاصة بعد رجاحتهم على قريش فتحول الصراع من فكري الى تسريب معلومات الى اعداء المسلمين الى ان وصل الى صراع مسلح ، وكان هذا التطور بين الفئتين متوقع لأنَ القبائل اليهودية تحمل فكرة شعب الله المختار(٤٠) ، رغم ان وثيقة المدينة ضمنت الحل للنزاع المحتمل ، لكن انتصار بدر حتم على قريش رسم خطة جديدة ، اذ خرج المسلمون من مرحلة الضعف الى القوة والتمكن على ساحة المدينة وما حولها **[ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذله]** (٤١)"وعلى كل حال فان معظم اليهود لم يعترفوا بمحمد فقط ، بل أخذ يعاديه شيئا فشيئا ، والنداءات العديدة الموجهة إلى اليهود والتي نجدها في القرآن يمكن أن تعني تقريبا انهم كانوا يرفضونها، وقد اتضح بعد زمن قليل على الهجرة أن عددا صغيرا فقط من اليهود يريد الاعتراف "(٤٢)

وكان هذا النصر يهدد اليهود وخاصة انهم ذوو طموح سياسي واقتصادي بسيطرتهم على المدينة والحجاز ، وقد اشار وات الى مجالات الحل المتوافرة للمشكلة ، اذ اعترف وات بأن الرسول (ﷺ) في السنتين الاوليتين بعد الهجرة كان طموحه هو تكوين دولة تضمن شيئا من الوحدة الاسلامية ، لكنه لا يطلب من القبائل اليهودية تخليهم عن دينهم ويعترفوا به ، وهذا يشير على ان الرسول (ﷺ) جاء لامة العرب وليس لليهود ، أي محدودية رسالة الاسلام ، لكنه طلب من اليهود التفاهم للتفاهم على عقيدة التوحيد ويمكن ان تكون الآية **[قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله]** (٤٣) دليلا على هذا التصور (٤٤) ، و وافقه على هذا الراي فلهوزن بقوله " .....و بذلك انتزع ابراهيم، ابو التوحيد ، من اليهودية وجُعل مؤسسا الإسلام عربي قبل الإسلام ، واعتبرت مكة هي مركز هذا الإسلام، ومن هذا الطريق فصل الإسلام عن اليهودية فصلا نهائيا وجعل دينا عربيا قوميا" (٤٥).

وان هدف وات من ايراد هذا هو ان الرسول (ﷺ) جاء بدعوة الى العرق العربي دون سواهم وذلك ببيان الآية اعلاه ، ويريد نفي عالمية الدين الاسلامي ، وهنا لابد لنا ان نقول بأن الدين الاسلامي لم يأتي بحرب

على الديانتين اليهودية والمسيحية ، بل جاء ليقومهما ويرفض التحريف الذي اصابهما من خلال المستغلين من رجال الدين القائمين على الديانتين ، وجاء مكملا لما جاء به الرسل السابقين له وخاصة موسى وعيسى (ع) ومؤصلا لهذه العقيدة الربانية [**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين]** [٤٦]،اذ جاء النداء لليهود [**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين]** [٤٧] وكذلك قال [**إن الدين عند الله الإسلام**] [٤٨] .

وان ما يؤكد علمية الاسلام ليس خفيا فقد وردت الكثير من الايات التي تؤكد هذا [**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون]** [٤٩]ومن الآية السابقة التي تؤكد شبهت وات الذي يريد اثبات محدودية الدعوة الاسلامية واقتصارها على العرق العربي ، بل انها جاءت الى كل بني البشر ومن ضمن هذا هم اليهود والنصارى "ويؤيد هذا المعنى توصيفه صلى الله عليه وآله وسلم بالبشير والنذير، فقوله: (بشيرا ونذيرا) حالان يبينان صفته لقوله: (كافة للناس وربما قيل: ان التقدير وما أرسلناك الا رسولا للناس كافة .....") [٥٠] .

أ- الصراع مع بني القينقاع

كان لهذه القبيلة عصى السبق في قتال المسلمين دون غيرها من قبائل اليهود المعروفة ، ويمكن بيان اسباب هذا الصرع لان هذه القبيلة كانت تطمح بالسيطرة على الحجاز اقتصاديا وسياسيا وذلك لاشتغالها بالتجارة والربا والصياغة "ولم تكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة [٥١]" ، فوجدت ان الاسلام يقوض هذه الاهداف ، ويحاول فضلا الى هذا ان المهاجرين الانصار بدأوا بمنافستها بالمتاجرة وبطرق نزيه ومرحب بها من قبل اهل المدينة ومن يسكن محيطها .

ثم ان التشريعات الاسلامية الجديدة جاءت حربا على التعامل بالربا واجحاف الناس باموالهم واكلها بالباطل[**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ]** [٥٢] ومما سبق يمكن ان نعول على ان العامل الاقتصادي هو المحرك الاساسي لمعارضة بني القينقاع للإسلام من هذا نستنتج بأن العامل الديني لم يكن ذا أثر في

معارضة هذه القبيلة للنبي (ﷺ) والمسلمين .

رغم هذا كله فالمستشرقون لم يقتنعوا بعدالة حرب الرسول (ﷺ) ضد بني القينقاع فيقول بروكلمان " قوى فوز بدر من نفوذ النبي فلم ينقضي شهر على بدر حتى وجه النبي رجاله الى بني قينقاع لقتلهم في الظاهر رجلا مسلما كان قد قتل رجلا يهوديا إثر خلاف جرى بينهما فأضطرهم الى الاستسلام والخروج من المدينة" [٥٣] ، وقال فلهوزن يقول بما معناه بان النبي (ﷺ) أضطر لاستعمال وسائل غير شرعية لإخراجهم من المدينة [٥٤] ،ويذكر كذلك "حاول محمد أن يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد ،وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضي عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا يكونون جماعات متماسكة كالقبائل العربية . وقد التمس لذلك اسبابا واهية ، وأعطى ما كان لهم من مزارع النخيل الخصبة إلى المهاجرة الذين لم تكن لهم حتى ذلك الحين ارض ولا ممتلكات ، بل كانوا يعتمدون على كرم الضيافة من جانب الأنصار باعتبارهم نزلاء عندهم ، أو كانوا يعيشون من التجارة او الغزو ، و بذلك أغناهم عن الأنصار وجعلهم مستقر واصحاب أرض في المدينة ، وبهذه الطريقة ايضا زاد في قوته هو ، لأن المهاجرة كانوا أشبه بحرسه الخاص ،هذا إلى أن التوتر الذي لم تكن كل آثاره قد زالت بين قبائل الأنصار ، ومن الأوس والخزرج ، جعل المهاجرين شأنا راجحا [٥٥] .

اما وات فيقول "كما هوجمت في نفس الوقت، قبيلة بني قينقاع اليهودية بعد أن أدت خصومة تافهة، لموت مسلم ، وقد حوصرت القبيلة خلال اسبوعين ، ثم استسلمت وابعدت عن المدينة ، ففقد عدو محمد اللدود ، عبد الله بن أُبَي، ما يقارب الـ(٧٠٠) من حلفائه" [٥٦] .

اما ما جاء في كتب التاريخ الاسلامي بشأن اسباب التي ادت الى قيام الحرب على بني القينقاع ".....كان من أمر بين قينقاع أن رسول الله (ﷺ) جمعهم بسوق قينقاع ثم قال: يا معشر يهود أحذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا يا محمد إنك ترى أنا كقومك ولا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن خير الناس " [٥٧] .

هذا من جانب ومن جانب اخر فان حادثة المرأة الانصارية التي كانت تبتاع من سوق القينقاع والتي طلب منها اليهودي ان تكشف عن وجهها ، لكنها ابت ذلك فعمد الصائغ ان يعقد ثوبها الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فسخر اليهودي منها ، مما ادى بها بان تستغيث بأحد المسلمين ، فهجم على

اليهودي فقتله ، فتداعا اليهود على المسلم فقتلوه في حينه [٥٨] .

يشكك ولفنستون بهذه الرواية قائلا "وفي ابن هشام قصة يذكرها على أنها تتضمن السبب في اعلان المسلمين الحرب على بنى قينقاع ،الا أن المستشرقين لاحظوا أنه لم يرويها عن ابن اسحق الذي هو المرجع الثقة لابن هشام ثم هي ليست موجودة في كتاب الواقدي لذلك هم يعتبرونها قصة متأخرة وغير واقعية ، وفحواها أن امرأة من العرب جلست الى صائغ بسوق بنى قينقاع حمل بعض اليهود يريدونها على كشف وجهها وهي تأبي فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى طوقها فلما انكشفت سوأتها ضحكوا منها فوقع الشر بين الأنصار و بين بنى قينقاع" [٥٩] .

يستخف المستشرقون بهذه الحادثه ، ويعتبرونها ليست ذات اهمية بحيث تشعل نار الحرب بين المسلمين واليهود ، اذ انهم عاشوا في بيئة يعتبرونها تافهة وذلك لانتشار الفساد والانحلال الاخلاقي في مجتمعاتهم الحالية ، لكنها لدى العربي المسلم تعتبر عظيمة بحق شرفه فيضعها العربي في المرتبة الاولى التي يجب بذل الغالي والنفيس من اجل الدفاع عن الشرف والناموس .

ب – الصراع مع بني النضير

كانت الرواية الاسلامية لمعركة بني النضير كما وردت في كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم السبت فصلى في مسجد قباء ومعه نفر من أصحابه ثم أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد أمنهما فقتلهما عمرو بن أمية وهو لا يعلم فقالوا: نفعل وهموا بالغدر به فقال عمرو بن جحاش[٦٠]: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم[٦١]: لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخبر فنهض سريعًا فتوجه إلى المدينة فلحقه أصحابه فقالوا: أقمت ولم نشعر فقال: " همت يهود بالغدر فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت " وبعث إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) محمد بن مسلمة إن اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به وقد أجلتكم عشرًا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا أيامًا يتجهزون وتكاروا من ناس إبلًا فأرسل إليهم ابن أبي لا تخرجوا وأقيموا فإن معي ألفين وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون عن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حي فيما قال ابن أبي فأرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إنا لا نخرج فاصنع ما بدا لك فكبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وكبر المسلمون لتكبيره وقال: " حاربتنا اليهود [٦٢] .

ويذكر وات عن إنذار النبي (ﷺ) بني النضير "بيد أن هذا الإنذار لا يتناسب مع الإهانة أو الادعاءات الغامضة بصدد خيانة مقصودة " [٦٣]معنى هذا أن يهود بني النضير كانوا ضحايا لفشل النبي (ﷺ) في معركة أحد مع مشركي مكة ، وأن كل ما أثير حول بني النضير إنما هو مجرد دعاءات غامضة لا تعكس خيانة مقصودة.

ويعقب بروكلمان عن التطورات مع يهود بني النضير "وأثرت هزيمة أحد في مركزه ومكانته (النبي) عند البدو المحليين ويظهر ذلك في مقتل أربعين [٦٤] من رُسله في قبيلة هوازن وكان على محمد أن يعوض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر ففكر في القضاء على اليهود فهاجم بني النضير لسبب واه وحاصرهم في حيهم فاضطروا للاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع" [٦٥] .

ج- الصراع مع بني قريظة

"....وأما بنو قريظة فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في معركة الخندق ، وصاروا يثبطون همم المسلمين بما يشيعون من شائعات ، ويتجسسون عليهم ، وائتمروا بفتح ثغرة في حصونهم ينفذ منها المشركون .وكفى الله المؤمنين شر الأحزاب ، فسار الرسول إلى حصون بني قريظة ، وحاصروهم خمسة وعشرين ليلة ، فانهاروا ، وصاروا و يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين..... " [٦٦] .

وقد تجلى تامرهم على المسلمين في تحشيد الاحزاب ضد الدولة الفتية آملين اجتثاثها من خلال حلفهم مع المكيين وغطفان "قام يهود بني النضير في خيبر بتجميع الأحزاب" [٦٧].

واكد وات تآمر بني قريظة على المسلمين في حصار المدينة (حصار الاحزاب) قائلا" كان لا يزال يوجد في المدينة عدد من الجماعات اليهودية ، وكان أهمها قبيلة قريظة (وقد ظلت هذه القبيلة ، أثناء حصار المدينة على الحياد فيما يتعلق بالعمل العسكري ، ولكنها قامت بمفاوضات مع أعداء محمد ولو انها وثقت من قريش وحلفائهم من البدو لانقلبت على محمد" [٦٨]،واكد غموض موقف بني قريظه ودسهم الدسائس في معركة الخندق "هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضة ، على كل حال . فاستسلموا بعد حصار دام أسبوعين . وأمر النبي بقتل محاربيهم (وعددهم ستمائة) ، وباسترقاق نسأهم وأطفالهم ، ليكون في مصير هم هذا عبرة لأمثالهم " [٦٩].

ولكن سلوك اليهود أثناء حصار الأحزاب للمدينة لم يعد مخفيا كما يزعم على كل حال، بل كان في غاية الوضوح، فبعد أن مناهم حيي بن أخطب النضيري[٧٠] بالوعود أعلنوا عن نقضهم للعهد الذي بينهم وبين

النبي، فشكلوا بموقفهم خطورة على المسلمين داخل المدينة وذلك من خلال تواطؤهم مع الأحزاب [**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَأوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**] [٧١].وأنزل الذين ظاهروهم أي عاونوا المشركين وهم بنو قريظة من أهل الكتاب وهم اليهود من صياصيهم وحصونهم وقذف وألقى في قلوبهم الرعب والخوف فريقا تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم الذراري والنساء وأورثكم أي وملككم بعدهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وهي أرض خيبر أو الأرض التي أفاء الله مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٧٢]، وأما تفسيرها بأنها كل أرض ستفتح إلى يوم القيامة أو أرض مكة أو أرض الروم وفارس فلا يلائمه سياق الآيتين وكان الله على كل شيء قديرا [٧٣] .

ولكن وات يجزم على "إن هنالك مؤامرات دارت حول قريظة ويبدو أنها عقدت معاهدة مع محمد وإن لم يتضح ما إذا كان عليها أن تساعد عند وقوع هجوم على المدينة أم أنها تبقى على الحياد" [٧٤]، لقد تجاهل وات بهذا على ان الوثيقة اشترطت على الاطراف الموقعة ان لاتساعد اعداء الاسلام والا ماهي فائدتها ان كانت تقدم العون وتؤلف الاحلاف ضد الرسول (ﷺ) والمسلمين .

يثير وات هنا مسألة اخرى حول تردد الرسول في اتخاذ قرار عقوبة بني قريظة وعدم اتخاذه القرار الحاسم "وكذلك مسألة معاقبة قريظة على خيانتها لم يغامر محمد في إصدار حكم بنفسه فلو أنه قرر سفك دماء قريظة لدعا الشرف بعض حلفاء اليهود ولو كانوا مسلمين الى الثأر لهم ولهذا ترك تقرير العقوبة الى زعيم القبيلة التي كانت قريظة حليفة لها [٧٥].

والرد على ماجاء بقول وات على ان الرسول (ﷺ) لم يستطيع اتخاذ القرار بحق بني قريظة ، فانه عندما تمكن المسلمون منهم وتقديرا للاوس فانه اعطى القرار لأجلهم شان وهو سعد بن معاذ " ....فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت – وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فوهبهم له – فلما كلمته الأوس قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم" [٧٦] .

وهذا الموقف للمنصف يحسب لصالح الرسول (ﷺ) وليس ضده لأنه يعد الطرف

القيادي للمسلمين وهو من يصدر الاحكام لذا فانه اسند الحكم لحلفاء بني قريضه وهم قبيلة الاوس الذين اسلموا واحسن اسلامهم ومتمثلين بزعيمهم سعد بن معاذ ، فلو ان الرسول (ﷺ)انزل الحكم بهم لتم التشكيك واثيرت الشبهات حول حكمه ، وان حكم سعد هذا ربما ماجرت عليه القبائل العربية في الجزيرة آنذاك ،و سعد لم تأخذه نخوة الجاهلية فأنحاز لعقيدته انحيازا مطلقا "أن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم")(٧٧). ولقد أشاد النبي (ﷺ) بموقف سعد "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة" (٧٨).

ووجود اليهود بنطاق يحيط بالمدينة ويخنقها ويهدد نفوذ الدولة النامية ويحد من قدرة الدعوية التي يعول عليها الرسول في نشر الاسلام بين قبائل الجزيرة العربية ، فأصبحت خيبر وكر لحياكة المؤامرات والدسائس ضد الاسلام ، إذ أن خيبر كانت مركزا للتجمع اليهود وكان لهم التأثير الواضح لتحجيم نمو المدينة التي طردوا من رياضها واسواقها ، ونتيجة لهذا السبب ولغيره ،نجد ان المسلمون يراقبون اليهود عن كثب وذلك لخوفهم من المؤامرات التي يحوكها دائما ضد الاسلام ونبيه (ﷺ)، ويعد المسلمون خيبر متربصة بالدولة الفتيه دائما (٧٩).

".... فان يهود خيبر الذين كان زعماء النضير يعيشون بينهم ، كانت تدفعهم رغبة الثار من محمد . فكانوا يقدمون أموالهم لحمل العرب المجاورين ، ولا سيما قبائل غطفان القوية ، على الانضمام اليهم ضد المسلمين . فكان هذا سببا كافيا حمل محمدا على مهاجمة خيبر " (٨٠)

ولم يغفل وات بان النبي (ﷺ) اختار شهر حزيران لمهاجمة اليهود ، لأن في هذا الشهر ينضج التمر الذي يمثل الثروة المهمة ليهود خيبر اذ يقول "وكان هجوم محمد على خيبر في يونيو 628م بعد غزوة الحديبية بوقت قصير في فترة يهمه فيها أن يحصل على الأسلاب لتوزيعها على الأتباع الذين خابت آمالهم من هذه الناحية في الحديبية" (٨١)، ويواصل "ومما لاشك فيه إن غنى اليهود كان عونا كبيرا لمحمد وحسن كثيرا وضعه المالي ولاشك أن ترقب مساعدة مالية أثر في النبي لتحديد وقت الهجوم على اليهود ولكن السبب الرئيسي للنزاع بين الفريقين دينيا" (٨٢)، وأما بروكلمان فانه يرجح بان سبب هجوم النبي (ﷺ) على خيبر "للتعويض عن فشله في الحديبية" (٨٣)، وسواء كان السبب ماديا كما يرى وات أو لتعويض الفشل كما يقول بروكلمان ، فلماذا قصد النبي (ﷺ) خيبر بالذات؟ يكفي التحليل الذي ذكرناه سابقا للتدليل على خطل آراء وات وبروكلمان.

وقبل أن ننهي مبحثنا هذا فلنرى تمنيات وات لما كان ينبغي أن تكون عليه العلاقات الإسلامية اليهودية في ظل الدولة النبوية "من المفيد أن نتخيل ما كان يحدث لو أن اليهود انضموا إلى محمد بدلا من معاداته ، وكان بإمكانهم في بعض الأوقات أن يحصلوا منه على شروط مفيدة لهم جدا، ومنها الاستقلال الديني فتقوم على هذا الأساس امبراطورية عربية يؤلف اليهود جزءا منها ، ويصبح الاسلام بذلك طائفة يهودية (كذا) ولتغير وجه العالم اليوم" [٨٤] .

نرى بان وات يرجح غلبة الافكار اليهودية على الافكار الاسلامية بحيث تطغى اليهودية على الاسلام بحيث يصبح الاسلام مجرد طائفة من الدين اليهودي ، ولم يرى وات باوسع من هذا فهو لو تعمق كثيرا لوجد محدودية الديانة اليهودية بنطاق العبرية ولم تتعدى سواها بينما كان الاسلام اكثر شموليه واوسع نطاق ، وما قوقعة شعب الله المختار الا احد المحددات التي اتصف بها اليهود.

لكن يمكنه القول لو ترك اليهود هذا الشعار الي رفعوه منذ ان حرفوا توراتهم (شعب الله المختار) الذي يعتقدون ترجيحهم على الناس لاندمجوا مع الاسلام واصبحوا امة يمكنها ان تبني صروح الحضارة وتتناسى هذه العلوية التي تُؤرق عقولهم الى يومنا هذا ، على العكس الشعار الذي رفعه الاسلام والذي يرجح الامة على اساس عمل الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر **[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ]** [٨٥]و ما اكده الرسول (ﷺ) بقوله (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) [٨٦]

الهوامش:

١-سورة البقرة ، الآية ٨٩ ؛ ابن كثير ، تفسير القران ، ٣٢٥/١.؛ الراغب الاصفهاني ، تفسير الراغب الاصفهاني ، ٥٢٧/١ .

٢-ولفنسون ،تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١١١ .

٣-وات ، محمد في المدينة ، ص٢٩٨ .

- ٤سورة البقرة ، الايه :٨٩ .

- ٥ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١١٢ .

٦ - خالد ، مجتمع المدينة ، ص١٣٥ .

٧ - بيجوفيش ، الاسلام بين الشرق والغرب ،ص٢٩٥ .

٨ - بريمار، تأسيس الاسلام ،ص١٠٨ .

٩ - وات ، محمد في المدينة، ص٢٩٨. ٢٩٩ ؛ وينظر ايضا : الواقدي ، مغازي الواقدي ،٢٥٤/٢ .

١٠- فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص١١.

١١- بريمار، تأسيس الاسلام ،ص٩٨.

١٢احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ، ص٤١٠.

١٣- فلهوزن ،تاريخ الدولة العربية ، ص١٢ .

١٤- بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٤٦ .

١٥- ولفستون، ص١١٤. ١١٥؛ وعن نقض اليهود وخيانتهم للرسول (ﷺ) وغدرهم به ، ينظر : بن العوام ، ص١٨٦.١٨٧ .

١٦- وات ، محمد في المدينة ، ص ٢٢٨.

١٧- وات ، محمد في المدينة ، ص ٢٢٩

١٨- الشريف ، مكة والمدينة ،ص ٤١٤ .

١٩- الشريف ، مكة والمدينة ،ص ٤١٣ .

٢٠- ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١٣٥ .

٢١- الواقدي ، المغازي ، ١/ ١٧٦؛ ابن اسحاق ، سيرة ابن اسحاق ،ص ٣١٥ .

٢٢- حميد لله ، مجموعة الوثائق، ص ٦١ .

٢٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٠٣/١ .

٢٤- الشريف ، مكة والمدينة ، ص٤٢٥ .

٢٥- ابن سعد ،الطبقات الكبرى ، ٣٤/٢.

٢٦- للمزيد ينظر :قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم ، ص٢٧٣.

٢٧- سورة ال عمران ، الايه : ١٨١ .

٢٨- ابن سيد الناس ، عيون الاثرفي فنون المغازي والشمائل والسير ،١/ ٢٤٨.

٢٩- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٣٧/٢.

٣٠- سورة الانفال ، الآية :٥٨ .
٣١- الطبري ، تاريخ الطبري، ٤٨٠/٢.
٣٢. كعب بن اسد القرظي: هو صاحب عقد بني قريظة وعهدهم مع النبي (ص) لكنه اخلف وعده معه ، ينظر : الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١٨٩/١.
٣٣- ابن عبد البر ، الدرر، ص١٧١ .
٣٤- الواقدي ، المغازي ، ٤٥٥/٢.
٣٥- وات ، محمد في المدينة ،ص ١٦٩ .
٣٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٣٢/٣.
٣٧- وات، محمد في المدينة ، ص١٩٦.
٣٨- ابن حزم ،جوامع السيرة النبوية ، ص١٨٨ .
٣٩- الواقدي ، المغازي ، ٢/ ٤٥٤ .
٤٠- وات، محمد في المدينة ، ص ١٦ .
٤١- سورة ال عمران ، الايه : ١٢٣ .
٤٢- وات ،محمد في المدينة ، ص ٣٠١.
٤٣- سورة ال عمران ، الاية :٤٦ .
٤٤- وات ، ومحمد في المدينة ٣٠٥. ٣٠٦.
٤٥- فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية، ص١٩ .
٤٦- سورة ال عمران ، الايه : ٨١ .
٤٧- سورة البقرة ، الايه : ٨٩ .
٤٨- سورة ال عمران، الايه : ١٩.
٤٩- سورة سبأ ، الايه : ٢٨ .
٥٠- الطباطبائي، الميزان ، ٣٧٦/١٦ .
٥١- الطبري ، تاريخ الطبري ، ٤٨١/٢؛ ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ٣٠/٢؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ٣٤٧/٨ .
٥٢- سورة المائدة ، الآيتين: ٤٢. ٤٣ .
٥٣- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٤٩ .
٥٤- فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ،ص٢٢ .
٥٥- فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ص١٥.١٦ .
٥٦- وات ، محمد في المدينة ، ص٢٤ .
٥٧- عمر بن جحاش بن سبيل ، اليهودي النَضري ، وهو الذي طرح الحجر على رأس النبي (ص) والغدر به ، للمزيد ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ٥٧/٢.
٥٨- سلام بن مشكم ، وهو سيد بني النظير وزوج صفية بن حيي بن اخطل ، والتي اصطفاها النبي (ص) لنفسه بعد خيبر، ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣٧٢/١ .
٥٩- ولفنستون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٢٩؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ٢٢٨/٦؛ النمري ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص ١٤٢.
٦٠- ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ٣٠/٢ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع، ٣٤٦/٨ ؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ٣٦/١٣ .

٦١- ولفنستون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١١٣؛ وينظر ايضا :البلاذري ،انساب الاشراف ، ١/ ٣٠٩.

٦٢- ابن الجوزي ، المنتظم في اخبار الملوك والامم، ٣/ ٢٠٣؛ وينظر : الواقدي ، المغازي ، ٣٦٧/١؛ ابي نعيم الاصفهاني دلائل النبوة ، ١/ ٤٩٠.

٦٣- وات ، محمد في المدينة ، ص ٢١١ .

٦٤- يقصد بهم شهداء بئر معونة ،الذي اختلفت الروايات بعددهم ، ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٨٤/٢.

٦٥- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٥؛ وينظر ايضا : الخركوشي، شرف المصطفى ، ٤٠/٣؛ السهيلي ، الروض الانف، ١٦٠/٦ .

٦٦- سعفان ، كامل ، اليهود تاريخا وعقيدة، ص ٣٠؛ الواقدي ، مغازي الواقدي ، ٤٥٧/٢. ٤٥٨؛ ابن هشام ، السيرة ، ٢٣٣/٢.

٦٧- حيي بن اخطل ، وهو احد ابرز الشخصيات اليهودية في قبيلة بني النضير ، وابو صفية زوجة النبي (ص)، ينظر : الدار قطني ،المؤتلف والمختلف ، ٢/ ٧٨٦.

٦٨- ابن سعد ،الطبقات، ٧٧/٢ .

٦٩- وات ، محمد في المدينة ، ص٣٢٦ .

٧٠- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٥٤ .

٧١- سورة الاحزاب، الأيتين : ٢٦،٢٧ .

٧٢. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٨؛ الطبري ، تاريخ الطبري، ٣/ ٢٠.

٧٣- القرطبي ، جوامع السيرة ، ١٧٣/١؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ابن خياط ، ص٨٥؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، ٤٥٥/٢الطباطبائي ، الميزان ، ٢٩٢/١٦.

٧٤- وات ، محمد في المدينة ، ص٣٨ .

٧٥- وات، محمد في المدينة ، ص ٣٢٩ .

٧٦- ابن هشام السيرة النبوية ، ٢٤٠/٢. ٢٤١؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ١٣٥.

٧٧- ابن هشام ، السيرة النبوية ٢٤٠/٢ ، الواقدي ، المغازي، ٥١١/٢؛ ابن حبان الثقات ، ١/ ٢٧٧.

٧٨- ابن سعد ، الطبقات ، ٧٥/٢؛ الماوردي، اعلام النبوة ، ص ٢٢٢.

٧٩- للمزيد ينظر: البيهقي ، دلائل النبوة ، ١٨٣/٣.

٨٠- وات، محمد في المدينة ، ص٣٣٢ .

٨١- وات ، محمد في المدينة ،ص٢١٨ .

٨٢- وات ، محمد في المدينة ،ص٢٢٠ .

٨٣- بروكلمان ،تاريخ لشعوب الاسلامية ص٢٨ .

٨٤- وات ، محمد في المدينة ، ص٣٣٤. ٣٣٥ .

٨٥- سورة ال عمران ، الاية :١١٠ .

٨٦- الهمداني ، تثبيت دلائل النبوة ، ٥٣٣/٢ .

المصادر والمراجع

❖ القران الكريم

١. المصادر

• أبن الاثير ،علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد (٦٣٠هـ ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت(١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

• أبن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي، (١٥١هـ/ ٧٦٨م) ، سيرة أبن اسحاق، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ، (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

• البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ / ٨٩٣م)، انساب الاشراف . تحقيق : سهيل زكار واخرون ، دار الفكر بيروت ،(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

• أبن الجوزي ،جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،تحقيق : محمد عبد الرحمن واخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

• أبن حبان ، محمد بن حبان بن احمد (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) الثقات ، تحقيق : محمد عبد المعين ، دائرة المعارف العثمانية ، الدكن ، الهند ،(١٣٩٣هـ / ١٩٧١م).

• أبن حزم ، علي ابن احمد بن سعيد الاندلسي القرطبي ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) جوامع السيرة، تحقيق: عبد الكريم سامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ).

• الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن ابراهيم (ت٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) شرف المصطفى ، دار البشائر ، مكة المكرمة ،(١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

• أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، تاريخ بن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة ، ط٢، دار الفكر، بيروت ،(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

• أبن خليفة بن خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني ، (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ، تاريخ خليفة ابن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م) .

• الدار قطني ، ابو الحسن علي بن عمر البغدادي ، (ت٣٨٥هـ /٩٩٥م) المؤتلف والمختلف ، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

● الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم ، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ /١١٠٨م) ، تفسير الراغب الاصفهاني تحقيق: محمد عبد

العزيز ، جامعة طنطا ،مصر،(١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

• أبن سعد ، محمد بن سعد بن منبع ، (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الطبقات الكبرى ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ،بيروت ،(١٩٦٨م/ ١٣٨٨هـ).

• السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ/ ١٠٨٥م) الروض الانف في شرح السيرة لنبوية لابن هشام ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

• أبن سيد الناس ، محمد بن محمد بن احمد (ت٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) ، عيون الاثرفي فنون المغازي والشمائل والسير ،تحقيق : ابراهيم محمد دار القلم ، بيروت ،(١٣٩٣هـ/ ١٤١٤م).

• الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد ، (٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الطبري ،ط٢، دار التراث، بيروت ،(١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

• أبن عبد البر، الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : شوقي ضبف ، دار المعارف، القاهرة ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

• أبن العوام ، عروة بن الزبير (ت٩٤هـ /٧١٣م) مغازي الرسول (ﷺ) ، تحقيق: محمد مصطفى ، مكتب التربية العربي، الامارات ،(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

● أبن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القران العظيم ، تحقيق: سامي محمد سلامة ، ط٢، دار طيبه للنشر ، الرياض ، (١٤٢٠هـ /١٩٩٩م).

• الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ، اعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، (١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م) .

• المقريزي ،احمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٥٤هـ/ ١٤٤١م) ، امتاع الاسماع بما للنبي من الاموال والاموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٢٠هـ/١٩٩٠م).

• ابي نعيم الاصفهاني، احمد بن عبد الله بن احمد (ت٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) ،دلائل النبوة ، تحقيق : محمد رواس قلعة جي ، ط٢، دار النفائس ، بيروت ،(٤٠٦هـ/ ١٩٨٦).

• أبن هشام ، عبد الملك بن هشام بن ايوب ، (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م) السيرة النبوية ، تحقيق ، مصطفى السقا واخرون ، ط٢، مكتبة مصطفى الحلبي ، القاهرة (١٣٧٥هـ /١٩٥٥م).

• الهمداني ، القاضي عبد الجبار بن احمد الاسد ابادي (ت٤١٥هـ / ١٠٢٤م)

،تثبيت دلائل النبوة ، (د ط)، دار المصطفى ، القاهرة ، (د ت) .

• الواقدي ، محمد بن عمر السهمي (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) ، المغازي تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الاعلمي ، بيروت(١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢. المراجع

• بروكلمان، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه امين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملاين ، بيروت ،(١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١).

● بريمار، الفريد لويس ، تاسيس الاسلام بين الكتابه والتاريخ ، دار الساقي ، بيروت (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

● بيجوفيش ،علي عزة ، الاسلام بين الشرق والغرب ، ترجمة : محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث ، بيروت ،(١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

● حميد لله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت(١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م).

● خالد ، حسن ، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

• سعفان ، كامل ، اليهود تاريخا وعقيدة، دار الاعتصام ، القاهرة ،(١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

• الشريف، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، بيروت،(١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

• الطباطبائي ، محمد حسين ،(١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ، الميزان في تفسير القران ، دار الاعلمي ، بيروت ، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

• قدح، محمود بن عبد الرحمن ، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم ، ط٢٩، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ،(١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م).

● مونتجومري وات ، محمد في المدينة ، ترجمة : شعبان بركات، (د ط)، المكتبة العصرية ، بيروت، (د ت) .

• ول ديورانت ، وليام جيمس (ت ٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ، قصة الحضارة ،(د ط) ترجمة : زكي نجيب واخرون ، دار الجيل ، بيروت ،(١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

● ولفنسون، اسرائيل ،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، د ط، دار الاعتماد ، القاهرة(١٣٤٦هـ / ١٩٢٧).

يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى الدولة الاموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، المركز القومي للترجمة ، بيروت .